Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد أصاب الطفل فى ردهة النزل من ماء الجرة ما أطفأ به غلته ، ولكنه لم يجد من الزاد ما يمسك به من رمقه ، وقد حاول مرارا أن يوقظ أمة ولم يفلح ، وأخيرا بدأ يخاف الظلام المتكاثف إذ غابت الشمس ولم يشعل المصباح إنسان .

وأقبل الطفل فى سدفة الظلام يتلمس وجه أمه ويجسه بيديه ، وتعجب كيف لا تتحرك وقد عاد جسدها أبرد من الجدار ، وقال فى نفسه ما أشد البرد فى هذه الحجرة ! ثم وقف برهة مطرقا واجما وقد نسى أن يرفع كفه عن كاهل أمه الميتة ، ثم إنه انثنى عن الجثة الهامدة وأقبل على أصابعه الصغيرة ينفخ عليها لبدفئها ، ثم تلمس قلنسوته البالية فى أركان الحجرة فلبسها وغادر المكان . لقد كان بوده أن يتركه قبل ذلك بمراحل ، ولكن منعه من هذا هرير كلب بشع على باب حجرة مجاورة كان ينخب أحشاءه بشدة نباحه وعوائه ، فما هو إلا أن ذهب حتى انطلق الغلام .

ولما صار فى طرقات المدينة هاله من ضجة ضوضائها وغرائب مناظرها ما هاله ، ولم يك أبصر المدن قط ، يا للعجب العجاب ! .. ما هذه الأنوار والأضواء ؟ — أليل أم نهار ؟ إن عهده بالليل فى موطنه الريفى ومسقط رأسه أن يكون مظلما فاحم الظلمة ، اللهم إلا ذبالة ضئيلة تزيد الظلام ظلاما ، وعهده بالطرقات فى قريته مقفرة من الأنس موحشة ، — وبالبيوت مرخاة السدول مغلقة النوافذ ، — وبالأهالى يحتجبون فى دورهم ويدعون السبل والطرقات للكلاب تعوى بها وتنبح الليل الطويل أفواجا ، مئات وآلافا ، ... على أن ذلك الريف كان خيرا له من هذه المدينة ، لقد كان واجدا فيه دفئا وقوتا ، أما ههنا فليس إلا القرة والجوع ، أما لو يمن الله عليه بكسرة من الخبز يابسة ! .. ثم ما هذه الأضواء اللامعة ، والأنوار الساطعة ، .. وهذا الهرج والمرج ، .. وهاتيك الجلبة واللجب والضوضاء ! .. وهذه الجموع المكتظة والجماهير المحتشدة وهذا الضغط والزحام ! .. المركبات المزخرفات والجياد الصافنات .. والبرد ، البرد القارس يخترق الجلد واللحم ويرسب فى العظام ، كحد الحسام ، أواه من البرد ؟ ..والأبخرة المتجمدة تنبعث من أشداق الخيل